وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة القادسية

كلية التربية–قسم التاريخ

موقف الــولايات المتــحدة الأمريكية من مشاريع الوحدة العربية 1958 – 1967

(دراســـــة تــاريخــية)

أطروحة تقدم بها

طالب حمادي حسين

الجنابي

الى مجلس كلية التربية في جامعة القادسية وهي من متطلبات نيل شهادة الدكتوراه في فلسفة التاريخ الحديث والمعاصر

إشراف الأستاذ الدكتور

احمد محمد طنش

1439هـ 2017م

اقرار لجنة مناقشة

نشهد نحن رئيس واعضاء لجنة المناقشة اننا اطلعنا على اطروحة الدكتوراه الموسومة بـ (موقف الولايات المتحدة الامريكية من مشاريع الوحدة العربية ١٩٥٨-١٩٦٧ دراسة تاريخية) وقد ناقشنا الطالب(طالب حمادي حسين الجنابي) وقد ناقشناه في محتوياتها وفيما له علاقة بها ونرى انها جديرة بالقبول لنيل درجة الدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر بتقدير(جيد جدا).

التوقيع:

ا.د عدي محسن غافل

رئيسا

التاريخ ٢٠١٨/٧/٨

التوقيع:

ا.د محمد صالح الزيادي

عضوا

التاريخ ٢٠١٨/٧/١

التوقيع:

ا.م.د احسان علي حسين الشمري

عضوا

التاريخ ٢٠١٨/٧/١

التوقيع:

ا.م.د جبار درويش الشمري

عضوا

التاريخ ٢٠١٨/٧/١

التوقيع

ا.م.د عمار محمد علي

عضوا

التاريخ ٢٠١٨/٧/٨

التوقيع

ا.د احمد محمد طنش

عضوا

التاريخ ٢٠١٨/٧/

مصادقة عميد كلية التربية/ جامعة القادسية على قرار لجنة المناقشة.

التوقيع:

الاستاذ الدكتور خالد جواد العادلي

عميد كلية التربية/جامعة القادسية

التاريخ ٢٠١٨/ /

ملخص الاطروحة

قبل الحديث عن الاستنتاجات التي خرجت بها هذه الأطروحة لا بد لنا أن ننوه إلى مسألة مهمة ألا وهي أهمية الشرق الأوسط الكبير وفي قلبه وطننا العربي الذي شغل الولايات المتحدة الامريكية لسنوات طويلة مضت، وسعت إلى دمجه في استراتيجياتها العليا لأسباب كثيرة منها، المصالح الحيوية الأمريكية وبخاصة إسرائيل والنفط العربي ومنها الاستفادة بالموقع الاستراتيجي للوطن العربي لإحكام سياسة احتواء الاتحاد السوفياتي طوال سنوات الحرب الباردة. خلال تلك السنوات والعقود الطويلة صاغ الفكر الاستراتيجي الأمريكي الكثير من المشاريع السياسية والاستراتيجية التي تخص الشرق الأوسط، وتعبر عن الأهمية المتصاعدة له ضمن المصالح الأمريكية، الملاحظة الأساسية على المشاريع الأمريكية الخاصة أو المتصلة بالوطن العربي أنها كانت مشاريع فاشلة، ابتداء من مشروع ترومان عام 1945 ، وامتدادا إلى مشروع الشرق الأوسط الكبير بدليل التحول الأمريكي عن هذا المشروع إلى مشروع آخر يحمل اسم الشرق الأوسط الجديد.

ان الصراعات التي برزت للساحة العربية خلال فترة الدراسة وما قبلها ما هي الا نتيجة طبيعية لمجموعة من الصراعات ياتي في مقدمتها الصراع العربي الاسرائيلي والذي يعد اهم واطول الصراعات في المنطقة منذ نشأت اسرائيل 1948 وحتى الان، وكذلك الصراعات بين النظم المحافظة والنظم التقدمية منها الصراع المصري–العراقي قبل 1958 والصراع المصري–السعودي ابان الحرب اليمنية الاهلية والصراع الاردني–الفلسطيني والصراع بين شطري اليمن كذلك الصراع بين سوريا والاردن ولبنان بهدف سعيها لانشاء سوريا الكبرى والصراع العراقي الكويتي بسبب سعي العراق لضم الكويت عقب استقلالها عام 1968 كل تلك الصراعات وغيرها كانت كفيلة بان تقف بوجة تحقيق الوحدة والتكامل بين دول المنطقة ككل نظرا لتعارض الانتماءات والمصالح والتوجهات والتي يصعب التوفيق بين هذا الكم الهائل من المتغيرات المتعارضة في نفس الوقت.

اضف الى ذلك ان دول المنطقة تعاني بدرجات متفاوتة من التخلف السياسي والاقتصادي والاجتماعي فهي اما تحكما القبيلة او نظام حكم عسكري او انظمة تحاول التشبه بالنظم الديمقراطية فهي بذلك تفتقد الى النظم الحاكمة والشرعية السياسة الحقيقية والتي تعد الدعامة لاستقرار السياسي، ومن الناحية الاقتصادية فاغلبها كان يعاني من مشكلات اقتصادية ناتجة عن سوء توزيع السكان وندرة الموارد او سوء استغلالها او سوء توزيع الدخل القومي، واما في الجانب الاجتماعي فغالبية دول المنطقة تعاني من انخفاض مستوى التعليم والوعي الثقافي والحضاري الذي بلا شك سينعكس على المجالين السياسي والاقتصادي.

كل ذلك يعطينا استنتاجا اقرب الى الحقيقة هو ان ما تم ذكره كان قد فتح المجال امام القوة الخارجية للتدخل في شؤون المنطقة وفي علاقات بعضها البعض كونها دول لا تملك استراتيجية(خطة شاملة واضحة الاهداف والمعالم) .

ومن النتائج التي يمكن ذكرها ان الولايات المتحدة الامريكية كانت تنظر الى المنطقة العربية بانها منطقة نفوذ تقليدي للغرب فهم يتعاملون معها انطلاقا من تبعيتها للغرب تعد امرا طبيعيا فلذلك انهم تعاملوا مع قادة المنطقة باسلوب املاء الشروط واصدار الاوامر وهذا ما اثار حساسية كبيرة لدى بعض القيادات الوطنية الجديدة في تلك الدول حديثة الاستقلال.

ومما يستوجب الذكر ان من نتائج الدراسة هو ان هنالك استراتيجية امريكية من خلالها اعادت ترتيب منظومة التوازنات الدولية ليكون للولايات المتحدة الكلمة العليا في التخطيط الامني للمنطقة وتكثيف الوجود العسكري الامريكي في الخليج العربي خصوصا، والحفاظ على تفوق اسرائيل، وضمان التعاون بين دول الخليج العربي وبين الولايات المتحدة والدول الصديقة لاسرائيل لان الولايات المتحدة الامريكية وضع في حساباتها ان امن واستقرار المنطقة مرتبط بامن اسرائيل او ما يمسى بالسلام الاسرائيلي(pax Israelitic) وهذا يدل على عدم امكانية فصل الاستراتيجية الامريكية عن الاستراتيجية الاسرائيلية.

توصلت الدراسة الى نتيجة مفادها ان المواقف الامريكية اتجاه كل اشكال مشاريع الوحدة العربية لم تكن حدثا طارئا او ردت فعل مرحلة بل كان يعد ضمن الاستراتيجية الامريكية التي كانت تسعى للوصول الى مرحلة الهيمنة المطلقة فهي استراتيجية متدرجة المراحل لا تنحصر اهدافها في حدود معينه، خصوصا ان الوحدة العربية كانت مشروع سياسي واقتصادي وثقافي تشكل خطرا على الوجود الامريكي عندما تتحقق.

وما من شك في أن الولايات المتحدة بذلت بعض الجهود لحفز الحكومات الموالية لها على القيام ببعض الإصلاحات العصرية. في الوقت الذي نجد فيه أن الأسلوب الأمريكي في الإنجاز التقني محبب ومرغوب فيه على نطاق واسع، وأن الصفوة التي تتولى الزعامة والقيادة ملمة بالثقافة والتكنولوجيا الغربية وباللغة الإنكليزية. ولكن الولايات المتحدة لم تكن تستطع تفادي مشكلات الصراع بين الحكومات العربية وعدم الاستقرار السياسي ومخلفات عهد السيطرة الاستعمارية الغربية وتخوف الرأي العام العربي من الإمبريالية الجديدة، ونمو القومية الراديكالية وانقسام العرب ما بين ثوريين ومحافظين، والتغيير الذي طرأ على موقفها ذاتها من التزاماتها العالمية. كما أنها لم تستطع أن تبرر للرأي العام العربي دوافع مساندتها لإسرائيل وتزويدها بالدعم المالي والعسكري، بما أظهرها بمظهر المتحدي للمشاعر العربة والتجني على الحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني.

نحن لا ندين للسياسة الأمريكية لأنها تعمل من أجل مصالح الولايات المتحدة، بل نحن المقصرين في حق بلادنا، لأننا ندفع بأهل الثقة لقيادة الركب في حين يقف كثير من الأكاديميين العاملين في الكليات والجامعات الأمريكية على أتم استعداد لتلبية الطلب على المعرفة التي تخدم الدولة، وكثير من هؤلاء لا يعملون في مؤسسات للتعليم العالي وإنما في حشد من مستودعات الأفكار(Think Tanks) التي تخلق حججا للدفاع عن سياسة ما وفي نهاية القرن العشرين، كان هناك ما يقدر بألفي منظمة تعمل في تحليل السياسة في الولايات المتحدث تركز نسبة معتبرة منها على السياسة للخارجية والعلاقات الدولية.

وإذا كان الوطن العربي يمثل وحدة قومية وحضارية وجغرافية واحدة، والشعوب العربية في أقطاره المختلفة تكون أمة واحدة، إلا أنه في تخطيط السياسة الخارجية الأمريكية ليس كذلك، فالقائمون على هذه السياسة، يقسمون الوطن العربي إلى ثلاث دوائر جغرافية. لكل منها خصائصها ومقوماتها التي تربطها بأهداف ومصالح الولايات المتحدة في هذه المنطقة، وعلاقات الولايات المتحدة الامريكية مع دول أي من هذه الدوائر تقوى أو نضعف بقدر تأثيرها في المصالح الحيوية لالولايات المتحدة الامريكية وحلفائهم وهذه الدوائر هي تشمل الدائرة الأولى، بلدان منطقة الخليج العربي، وتتركز فيها المصالح الحيوية الأمريكية والغربية بصفة عامة، الاقتصادية والسياسية والإستراتيجية، وتقع الدائرة الثانية في قلب الوطن العربي، وتضم بلاد الشام إضافة إلى وجود إسرائيل في مركز هذه الدائرة. وتضم كلا من مصر والسودان وتشمل وادي النيل، والبحر الأحمر والقرن الأفريقي، ومن أبرز خصائصها الإستراتيجية وجود قناة السويس وخليج العقبة في أراضيها، ونهر النيل الذي يربط بين أكبر دولتين عربيتين مصر والسودان. وتتبع أمنية هذه المنطقة من موقعها الاستراتيجي في شرق البحر المتوسط، وتبرز القضية الفلسطينية في هذه الدائرة منذ 1948، وقد أخفقت الولايات المتحدة في تحقيق السلام في تلك المنطقة؛ بسبب تحيزها إلى جانب إسرائيل. وما زال السلام والاستقرار بعيدين، بل ترداد المشاكل تعقيدا ومن ثم تعد هذه المنطقة أكثر تأثيرا في السياسة الأمريكية واتجاهاتها إلى جانب منطقة الخليج العربي.

اما الدائرة الثالثة فتتمثل بالجناح الغربي للوطن العربي، وتمتد من حدود مصر الغربية إلى شواطئ المحيط الأطلسي، وتضم البلدان العربية في شمال أفريقيا. وتتميز بقربها من أوروبا. وتضع السياسة الأمريكية هذه المنطقة في النطاق الاستراتيجي لحلف شمال الأطلسي من الناحيتين الجغرافية والإستراتيجية. وقد برزت الأهمية العسكرية للمغرب العربي بالنسبة إلى الآمن الأوروبي أثناء الحرب العالمية الثانية. حيث كان يمثل الجبهة الثالثة بعد غرب أوروبا وشرقها، ودارت فوق أراضيه المعارك الحاسمة في تلك الحرب. وتتركز أهداف الولايات المتحدة الامريكية في هذا الجزء من الوطن العربي

حول مشاركة أوروبا في استغلال ثرواته الاقتصادية. وتأمين المصالح الأمريكية، والمحافظة على التوازن بين البلدان العربية.

ومن الواضح أن الولايات المتحدة قسمت الوطن العربي إلى دوائر منفصلة، وهو تقسيم يستند إلى أهدافها ومصالحها فهي لا تنظر إلى الوطن العربي كوحدة جغرافية وحضارية واحدة كنظرتها إلى دول الاتحاد الأوروبي مثلا بل كأجزاء متفرقة ودول مختلفة ومتنازعة تعاني مشكلات متباينة. وقد سجلت صفحاته التاريخ إجمالاً ما يربو على عشرة مشروعات للوحدة، أو اتفاق بين القيادة السياسية أو وحدة كاملة، أو تنسيق وتكامل، أو مجالس للتعاون وغير ذلك من المصطلحات التي نحتتها القيادات الحاكمة في البلدان العربية. بين بلدين أو أكثر إلا أنها كانت في معظمها أحياءا لمشروعات سابقة.

ومن المؤسف أنه لم يبق من هذه المشروعات إلا مشروعان، الأول جامعة الدول العربية التي أعلن عن تأسيسها في عام 1945 ، والثاني هو قيام مجلس التعاون لدول الخليج العربي في عام 1981 ، وهو خارج فترة الدراسة أما بقية المشروعات فقد انتهت إلى الفشل وباتت صفحات سطرت في تاريخ الوطن العربي.

وكان تقرير سري أمريكي في أول تشرين الثاني/نوفمبر 1944 حدد الأهداف السياسية للولايات المتحدة في المنطقة على النحو التالي:

1. تأكيد المصالح المستقلة للولايات المتحدة من إجراء ترتيبات عادلة تهدف إلى تحقيق السلم والأمن على أساس من حسن الجوار.
2. تأكيد حق الشعوب في اختيار ما تريده من أشكال الأنظمة السياسية والاجتماعية والاقتصادية والحفاظ عليها لنفسها.

3.توفير مساواة في الفرصة في التجارة والترانزيت والتبادل التجاري تختلف عن سياسة الاستعباد، وحرية التفاوض إما من خلال الوكالات الحكومية أو المشروعات الخاصة. بغض النظر عن نوع النظام الاقتصادي المطبق.

4.حماية المواطنين الأمريكيين بصفة عامة، وحماية الحقوق الاقتصادية الأمريكية المشروعة والنهوض بها، سواء كانت حقوقا مماثلة أو محتملة.

مما لا شك فيه أن جل اهتمام الولايات المتحدة بالوطن العربي يكاد ينحصر في ثلاثة أمور. المواد الخام وبخاصة النفط وفتح الأسواق لتصريف منتجاتها العسكرية والمدنية بشتى أنواعها، ومنع التغلغل الشيوعي والأفكار المضادة للغرب، لضمان مصالحها وأمن مواطنيها ومن ثم سعت حثيثا إلى ربط البلدان العربية بتحالفات غربية، وإقامة قواعد عسكرية في المناطق التي تؤمن لها تلك المصالح.

وتعد منطقة الخليج في مقدمة المناطق التي أولتها العناية، لأنها كانت أقرب المياه الدافئة إلى الاتحاد السوفياتي، وأنها مخزن النفط الذي ظهرت أهميته إبان الحرب العالمية الثانية (1939-1945) ومنذ تشكيل قوة الشرق الأوسط البحرية الأمريكية في العام أخذت هذه القوة تستفيد من تسهيلات في مرفأ الجفير في البحرين وذلك بموجب اتفاقيات غير رسمية مع بريطانيا في بادئ الأمر.

ومع بداية الحرب العالمية الثانية 1939 وحتى منتصف السبعينيات استطاعت الولايات المتحدة خلال هذه الفترة تأكيد هيمنتها الاقتصادية وزعامتها السياسية للعالم الرأسمالي التي تعد بداية تقهقر زعامتها العالمية. وإن كانت قد ركزت سياستها على مواجهة القوة السوفياتية المتنامية. والحركات الوطنية المطالبة بالتحرر من النفوذ الأجنبي، واستخدمت أسلوبنا يجمع ما بين سياسة العصا والجزرة، أي ما بين التدخل العسكري، الذي يمثله مبدأ ترومان والمساعدات الاقتصادية التي تضمنها مشروعا مارشال، وكان الرئيس ترومان يرى أن الالتزامات العسكرية لمبدأ ترومان والالتزامات الاقتصادية لمشروع مارشال هما وجهان لعملة واحدة.

إن الاعتقاد بان الولايات المتحدة الامريكية صديقة وحامية لبعض العائلات الحاكمة في الوطن العربي أمر يحتاج إلى تحفظات ودراسة متزنة ويحوز انتشار هذا الاعتقاد إعجاب المسؤولين الأمريكيين. ليكون عنصر ضغط يساعد على فرض السيطرة الأمريكية ومجاراة السياسات الأمريكية. ولهذه العائلات الحاكمة جذور تاريخية. منها ما كان من أصل قبلي، ومنها ما لها تراث وروابط دينية ثابتة تعزز حكمها ومكانتها وتعطيها تأييدا وقبولا من قطاعات عديدة من شعوبها. ومع أن هذه الأسر الحاكمة وأنظمتها تتعرض لضغوط وتطورات اجتماعية ومشاكل في الحكم مثل غيرها من الحكومات والأنظمة فإن معظمها ظل في الحكم بقوته الذاتية الداخلية إلى حد كبير وبسياسات حصيفة ولكنه يجب أن يتيقن الرؤساء العرب، في هذا الإطار من أنه لا توجد مظلة أمريكية تحمي بلدان المنطقة، فهناك تحالف أمريكي – إسرائيلي ولا تقدم الولايات المتحدة الامريكية الحماية الدائمة لمن يخدم مصالحها، وشاه إيران أكبر مثل على ذلك، والسياسة عموما والأمريكية بالذات، لا تعترف بالأخلاقيات.

وإن كانت الوحدة المصرية– السورية عام 1958 ، هي الوحيدة التي أحيت الأمل في نفوس العرب إذ كانت بمنزلة نواة لوحدة عربية كبرى، إلا أن وقوع الانفصال في عام 1961 كان صدمة للمشاعر العربية. ومن الملاحظ أنه لم يكن في مصر وقتذاك أحزاب سياسية بل كان هناك التنظيم الشعبي الواحد بينما كان في سورية أحزاب، على رأسها ومن أهمها حزب البعث العربي وكان التجمع في دولة الوحدة يقتضي التماثل في التنظيمات السياسية. فصدر قرار بحل حزب البعث في سورية، والتاريخ وحده سوف يحكم على مدى صواب هذا القرار لكن اي كان حكم التاريخ فان مشاركة حزب البعث في جريمة فصم الوحدة سيبقى يلاحق هذا الحزب ما بقى قائما لقد تساوى في فصم الوحدة مع موقف قيادات الأحزاب الأخرى التي اتضح لها أن التيار القومي الجماهيري تجاوزها وأهملها، وضاعت عليها فرصة المشاركة في الحكم فانضمت بالتدريج إلى القطاعات المتضررة من الوحدة والعاملة ضدها.

ونخلص إلى أن النظام العربي لم يتمكن من خلاله مؤسساته من تحديد مصادر الخطر وأولويات مواجهتهم وبالتالي فشل في تعبئة وحيد الموارد لمواجهة تلك الأخطار، فقد انقسم النظام العربي على نفسه بصدد القضية الفلسطينية ولم يتفهم حقيقة الصراع بين الشرق والغرب وتفاعلت وتداخلت كل هذه الانقسامات لتجعل من المستحيل إقامة نظام فعال للأمن الجماعي العربي تحدد فيه المسؤوليات بدقة. ولا شك في أن منطلقات كل عنصر من عناصر النظام العربي جاءت تعبير عن هموم قطرية في الغالب وليست تعبير عن هموم قومية، ولا تزال تلك هي صورة الوطن العربي حيث لكل همومه الخاصة.

ولا جدال في أن الخليج مشغول أكثر بإيران والمغرب مشغول أكثر بقضية الصحراء، والسودان مشغول أكثر بما يجري في دول الجنوب الأفريقي وبخاصة في إثيوبيا، وقد أسهمت النظم العربية في العقدين الأخيرين من القرن العشرين أن تكون مصر خارج الحلبة، وبدت للبعض أنها تبدو مشغولة أكثر بمشاكلها الداخلية. وتناست تلك النظم أن هناك بونا شاسعا بين ما يحصل عليه المواطن في أغنى قطر عربية مقارنة بما يحصل عليه المواطن في أفقر قطر عربية وهي فروق تهدد أي كيان اجتماعي بالانفجار والاضطرابات.

ومن اللافت للنظر أن البلدان وبخاصة مصر التي تشكل خط المواجهة مع العدو الصهيوني تقع في الشرائح الدنيا من هيكل توزع الناتج القومي العربي وهو ما قد يصيب الإحباط لديها أو يضعف من إرادتها على الصمود.

لا سبيل أمامنا إلا الاعتراف بأن الوضع العربي في حالة من حالات التمزق والترقب والتوتر وهذا ما يدعونا إلى التساؤل. أليس هناك في الأفق من حل للخروج من هذا النفق المظلم؟ وكيف يستعين النظام العربي الممثل في جامعته توازنه في ظل الوضع الراهن والبالغ التعقيد ومصر أكبر الأقطار العربية وزنا من الناحيتين الديمغرافية والعسكرية وأكبرها تأثيرا بحكم إشعاعها الثقافي والحضاري فما هو الدور المنوط بها لقيادة القاطرة التي تخرج الأمة من هذا الوضع المدلهم؟

وإذا كان التيار القومي قد نجح في إقامة مؤسسة سياسية وهي جامعة الدول العربية والتي تضم جمع أقطار الوطن العربي والتي تمتلك إمكانات عسكرية ومالية وسياسية كبيرة، وبعد أن أصبح عدد أعضاؤها اثنين وعشرين قطرا عربيا، بما يؤكد أن هذه الجامعة تتمتع بسمة خاصة بين النظم الإقليمية الأخرى وهي سمة القومية.

كما تتمتع بدرجة عالية من التماسك الثقافي واللغوي والاجتماعي. قد تتوافر بعض هذه السمات في نظم إقليمية أخرى بدرجات متفاوتة، ولكنها بالتأكيد لا توجد في أي نظام بالدرجة نفسها التي تتوافر بها في النظام العربي بما في ذلك الاتحاد الأوربي، بل حينما نعقد المقارنة بين النظام العربي ونظام الولايات المتحدة الامريكية اللاتينية تبرز على الفور أهمية هذه السمات.

يتساءل المثقفون كيف يمكن أن نعرض للدنيا صورة حقيقية للوطن للعربي وللإنسان العربي؟ وكيف يمكن أن نعرض على الدنيا صورة لوطن عربي يناضل من أجل سلامه في الحقيقة، ولا يحاول كما يصوره الآخرون أن يفرض على هذه الدنيا مشاكله التي تهددها بحرب لا يستطع أن يتقى شرها أحد؟ بل كيف يمكن أن نعرض على الدنيا صورة لوطن عربي يريد أن يجعل ثروته النفطية في خدمة رخائه ورخاء الدنيا، ولا يحاول كما يصوره الآخرون أن يفرض على هذه الدنيا احتكارا يهدد اقتصادنا قبل أن يهدد الاقتصاد العالمي؟

كيف يمكن أن نعرض على الدنيا صورة لوطن عربي يلتزم الحفارة الإنسانية وقيمها. ولا يحاول كما يصوره الآخرون أن يعيش على حساب هذه الحضارة دون أن يشارك في صنعها، وأن يهدر من قيمها ولا يعنيه أن يضيف إليها أو حتى أن يتبقى من هذه القيم شيء يستحق الحرص عليه فضلا عن الإضافة إليه؟

كيف يمكن تصحيح صورة الإنسان العربي، بحيث لا يصبح ذلك العربي كما تقول حملات الكراهية الموجهة إليه الآن واحد من ثلاثة اما إرهابي يحمل القنابل والمدافع الرشاشة بين طيات ثيابه يفجرها في غيره أو في نفسه إذا لم يجد هدفا يصوب عليه؟ وإما بليونير لا يعرف ماذا يفعل بثروة

هبطت عليه من السماء، فراح يملي على الآخرين شروطه، ويطلب منهم الركوع لنزواته بخير مراجعه وهم يسايرونه في ما يطلب طالما يعطيهم ما يطلبون حتى ينفد ما لديه وينضب ويعود في النهاية إلى خيمته، وقد ضاعت منه أحلام أو أوهام عاشها بغير استحقاق في غفلة من الزمان! وإما مخلوق شرها نهما ليس بعد جوعه شبع أو بعد عطشه ري، حياته كلها ثلاثة طعام، وقمار، وفراش من حرير!

قد يكون هناك محاولات جادة لتغيير هذه الصور، لكن حملة الكراهية ضد العرب سواء كانت سافرة أو خفية فإنها لا تهدأ ولا ترحم وقد حاولت بعض الأنظمة العربية ذات العلاقة بالولايات المتحدة فتح قنوات مع الجماعات المؤثرة في قرارات الإدارة الأمريكية بيد أن اللوبي الصهيوني بات ذا تأثير واضح في السياسة الأمريكية!

ويبقى السؤال، هل فشلت القومية العربية كحركة؟ الجواب باختصار هو نعم، إذا نظر المرء إلى حالة الوطن العربي اليوم، وإذا ما أدرك أن الأنظمة الموجودة في السلطة هي على العموم إما نتاج حركات تعادي مثل القومية والوحدة العربية كما يتجلى ذلك في الكثير من الشعارات المطروحة، أو نتاج زعامات عائلية وقبلية تقليدية موروثة منذ الحقبة الاستعمارية. وقد فشلت القومية العربية كحركة جماهيرية في إقناع الحكام العرب أو إرغامهم بأنها ذات مثل ومبادئ تستحق العناء والتعب، وأهدافه تستحق التحقيق(ذلك لأن الحكام أنفسهم كانوا أكثر حرصا على بناء أنظمتهم في الداخل مما كانوا على المساهمة في تحقيق هدف قومي يحقق الوحدة التي كانت وما تزال تتطلع إليها، إذ لعب الحكام دورا مركزيا في توفير شروط هزيمة الحركة القومية ذاتها.

لكن من الممكن أن يكون الجواب أيضا لا، إذ أدرك الحكام أن المحكومين المغلوبين على أمرهم، لا يزالون يطمحون وبخاصة في زمن الهزيمة الوطنية والذل القومي، كما حال الوطن العربي اليوم، إلى مبادئ القومية العربية ومثل الوحدة العربية الصحيحة. فليس لدى هؤلاء ما يخسرونه.

لا شك في أن منطقتنا العربية ما زالت تعاني آثار تمزقا مفتعل ومصنوع بين القومية والدين، وإذا كان العرب قد عاشوا مع غيرهم من القوميات أو الديانات في ظل الخلافة الإسلامية. فذاك بات في

صفحات تاريخها البعيد وليس معنى ذلك نبذ فكرة وحدة عربية، أو غلق أبواب جامعة الدول العربية التي هي يبت العرب مهما كان متصدعا لأن الأمر يتطلب من أصحابه ترميمه أو بناءه من جديد. وإذا لم تكن جذور الوحدة العربية قد غرست في ماضينا، فإننا يجب أن نزرعها في مستقبلنا لأنه بغير ذلك، لا أمن وآمان في الحاضر ولا أمل في قابل الأيام، وبدون أية إدعاءات زائفة، أو مبررات واهية، كما أن غياب التضامن العربي اليوم لن يذهب بمشاريع الوحدة العربية فحسب، ولكنه بات مصدر خطر داهم على كل ما يتطلع اليه سكان هذه المنطقة من حرية وأمن وازدهار واستقرار.

إن المستقبل لنا مهما طال الزمن ومهما تكاثر الخصوم ومهما تحالفت المحن بشرط أن تواصل أمتنا استمساكها بالحلم والأمل، وأن ترفض الاستسلام لكابوس اليأس والإحباط،٠ والخلاص في أيدينا نحن وفى تجتعنا وحشد إمكاناتنا المهدرة، ونستطيع إذا اجتمعت إرادتنا وأعدنا تنظيم قوانا على أسس جديدة، وفي ضوء التجارب الماضية أن نحمي بلادنا ونصد عنها المخططات العدوانية ونسترد حقنا المغتصب.

إن آمال الأمة العربية معلقة على قادتها، وهم قادرون على أن يضعوا أقدامهم على أول الطريق السليم، طريق التضامن العربي.